ASJP Algerian Scientific Journal Platform
مجلة المعارف للبحوث و الدراسات التاريخية
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/111
ISSN: 2437-0584/ EISSN: 2437-0584


المجلد السابع ،العدد الرابع ، ماي 2022 ص – ص84-111

ملامح من الكتابة التاريخية الإباضية ببلاد المغرب ما بين القرنين (3 –10هـ/ 9–16م)

Features of The Ibadi Historical Writing in The Maghreb between the (3th-10th Century AH/9th-16th Century AD)

الزرويل صالح(*)	أ.د بحاز إبراهيم
جامعة غرداية، (الجزائر)	جامعة غرداية، (الجزائر)
salah.zerouil@univ-ghardaia.dz	bahazhistory@gmail.com

تاريخ الاستلام: 23 /2021/09 **تاريخ القبول:**26 /2022/04 **تاريخ النشر:** 11 /2022/05

الملخص

أولى مؤرخو الإباضية في بلاد المغرب، اهتماما جليا بالتدوين التاريخي، والذي عرف تطورا ملحوظا منذ القرن الأول الهجري السابع للميلاد، وقد احتضنته مختلف حواضره التي صارت بمثابة مدارس تاريخية قائمة بذاتها، تميزها عن غيرها، بدءا بمدرسة نفوسة، وانتهاء بمدرسة ورجلان، ونروم من خلال هذا المقال التعرف على أهمّ المؤرخين الإباضيين المغاربة، ومؤلفاتهم ومنهجهم وأسلوب كتاباتهم التاريخية، بدءا بالشيخ ابن سلام في القرن 2هـ/8م، وإلى غاية الشيخ أبي العباس الشماخي في القرن 10هـ/16م، إذ لم يبق التأليف التاريخي حبيس المشرق فحسب، بل سالت أقلام المغاربة تدوينا ونسخا، وتدريسا له.

تميّزت الكتابة التاريخية لدى المؤرخين الإباضيين عن أقرانهم المغاربة من حيث الأسلوب والمنهج، وحتى في توجهاتهم وأفكارهم وميولاتهم، فقد جمعوا في مؤلفاتهم السيرية بين شتى أصناف العلوم النقلية، وانتقلوا من التقليد إلى التجديد، تقليد طريقة المحدّثين، وتجديد على طريقة السير والسنين. وهذا الانتقال قد ظهر جليا بعد الزحف الهلالي في القرن5هـ/11م.

الكلمات الدالة: الإباضية؛ الكتابة التاريخية ؛ بلاد المغرب؛ المؤرخ؛ السير الإباضية.

Abstrac:

Ibadi historiens in the maghreb have given a clear interest in historical codification ,which has known a remarkable development since the seventh century AH, and has been embraced by the various metropolitan areas that have become independent historical schools, distinguishing them from others, starting with the Nafusa school, and ending with a school and two men, and we are through This article introduces the most important Moroccan Ibadhi historians, their approach and the style of their historical writings, starting with Sheikh Ibn Salam in the 2nd

* المؤلف المرسل.

century AH/8 AD, and ending with Sheikh Abi Al-Abbas Shammakhi in the 10th AH / 16th century AD. He copied, and taught him.

The historiography of Ibadi historians was distinguished from their Moroccan peers in terms of style and approach, and even in their orientations, ideas and inclinations. This transition has been evident after the crescent crawl in the 5th / 11th century AD.

Keywords: Ibadism; Historiography ; Maghreb countries; Historian; Ibadi Biography.

1. مقدمة:

يتناول الموضوع بالدراسة والبحث أهم محطات الكتابة التاريخية الإباضية في بلاد المغرب بين القرن 3-10 هـ/ 9-16م، وذلك عن طريق حصر مجمل المؤلفات التاريخية التي دوّنها كتّاب أو أخباريو المذهب الإباضي في الفترة المذكورة بالمغربين الأدنى حيث: جربة ونفوسة وجبل دمر وبلاد الجريد، والمغرب الأوسط حيث: الزاب ووادي ريغ وسوف، وورجلان، مع الوقوف على مناهجهم وأساليبهم في الكتابة، فمنذ متى اهتم الإباضية بالتدوين التاريخي؟ ومن هم أشهر المؤلفين وكتاباتهم؟ وكيف كان أسلوبهم ومنهجهم فيها؟ وهل لكتاباتهم أهمية بين الكتابات التاريخية المغاربية والإسلامية عموما؟

ارتأيت تقسيم البحث إلى عنصرين أساسيين –ضمنهما عناصر فرعية تخص كل فترة–، فالأول فيه حديث عن مولد الكتابة التاريخية الإباضية المغاربية وأهم مؤرخي تلك القرون الأولى، والثاني عن قرون فترة استمرارها، وبها مجموعة هامة من المؤرخين الذين كان لهم الفضل في ترسيخ قدم التدوين التاريخي، فلا غرو إذن من أن يعتمد هؤلاء الباحثون والمتخصصون منهم في تاريخ الدولة الرستمية والإباضية بشكل عام، عما كتبته المصادر الإباضية كابن الصغير والورجلاني والشماخي، وهنا يمكن القول بأن اهتمام الإباضية بالتأريخ كان مبكرا، وأشهر هؤلاء نذكر: ابن سلام والورجلاني والدرجيني، والشماخي، الذين جمع أوائلهم بين أسلوب ومنهج المحدثين، في حين أن أواخرهم قد فضلوا منهج السير والطبقات والتراجم لظروف عدة. وأن كتاباتهم من الأهمية بمكان، إذ لا يمكن الاستغناء عنها رغم ما قيل في حقهم، وما وصفوا به من غيرهم، إلا أن المؤرخ النزيه يستقي المعلومة من مضانّها، مهما كانت الأهواء والمذاهب، وليقم بالنقد التاريخي المحايد لها حتى يجانب الحقيقة.

2.مولد الكتابة التاريخية الإباضية في القرن 2هـ /8م:

عرف الإباضية الكتابة التاريخية مبكرا، إذ إن المذهب الإباضي كان أول المذاهب قدوما وانتشارا في بلاد المغرب إلى جانب المذهب الصفري، وكان لحملة العلم الخمسة فضل كبير في نشره وترسيخ قواعده، فمن المؤكد أنهم جلبوا معهم كتبا شتى أثناء عودتهم من ديار البصرة، بعد تتلمذهم على جهابذة العلم والفقه الإباضي فيها، وعلى رأسهم الشيخ أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي، لكن مؤلفاتهم لم تصلنا وقد فُقدت بسبب الصراع المذهبي.

عرفت فترة القرن الثاني الهجري تأسيس أول دولة إباضية على يد أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري سنة 140-144هـ/757-761م، والتي ترك مشايخ العلم فيها مؤلفات شتى هي مفقودة، لذات الأسباب. وفي فترة النصف الأول من القرن الثاني الهجري واستنادا إلى ما رواه كتّاب لاحقون فإن أبا خليل صال الدركلي النفوسي كان يلقن مبادئ العقيدة الإباضية والسِّير بجبل نفوسة، "فقد تعلّم العلم وعلّم السير والأخلاق"[1]، بشهادة الشيوخ حين حضرته الوفاة، ويكون بذلك أول مؤرخ إباضي في بلاد المغرب، ويصنفه الدرجيني ضمن الطبقة الخامسة(220-250هـ) وقد عمّر طويلا حوالي 120 سنة.

عند قيام الدولة الرستمية بتيهرت سنة 160-296هـ/777-909م على يد عبد الرحمن بن رستم الفارسي(ت171هـ/787م)، اهتم حكامها بالعلم والتأريخ أيّما اهتمام، إلى جانب حنكتهم في إدارة دواليب الحكم؛ أمام فسيفساء من الأجناس والمذاهب والقبائل التي عاشت في كنفهم، وفي دولة عُرفت حاضرتها ولم تُضبط حدودها لشساعتها، فقد قرّبوا إليهم ابن الصغير المالكي صاحب كتاب أخبار ابن الصغير[2]، ويعتقد ليفيتسكي أن الإمام الرستمي أفلح بن عبد الوهاب (ت258هـ/ 871م)، كتب مصنّفا تاريخيا حول إباضية بلاد المغرب، من البداية وحتى أيامه، لكنه لم يجزم بالأمر إذ يرجّح أن يكون هو نفسه كتاب ابن سلاّم، أو مؤرخ معاصر له من الإباضية، أما ابنه الإمام أبا بكر

بن أفلح بن عبد الوهاب(ت 261هـ/874م) فقد كان أشهر أئمتها الذين عُرفوا باهتمامهم بالتاريخ إذ كان" يحب الآداب والأشعار وأخبار الماضين"[3]، ولا شك في أن سابقيه من آبائه وأجداده كانوا على نفس الدرجة من حبّهم لأخبار سلفهم من المشايخ وأحوال الإباضية والإسلام في المشرق عموما، حيث لا تخلو منابرهم ودعوتهم من ذكر لتاريخ أهل الدعوة والاستقامة، وسير الأوائل، ويذكر ليفتسكي أيضا أخبارياً آخر عاش في هذه الفترة، وهو عبد العزيز بن الأوز وهو من رواة السير، وقد دوّن رحلته إلى المشرق في كتاب اختفى مبكرا[4].

1.2 .ابن سلاّم: بدء الإسلام وبدء التأريخ الإباضي(ق3هـ/ 9م):

في أواخر القرن الثالث الهجري/ التاسع للميلاد، يظهر مؤرخ نفوسي، بمؤلفه الذي يعدّ أقدم مؤرخي إباضية بلاد المغرب، وإن كان مغمورا لفترة طويلة إلا أن كتابه: بدء الإسلام وشرائع الدين[5]، جعله مصدرا لمن بعده من المؤرخين القدامى والمتأخرين على حد سواء، إذ يعدّ لوّاب ابن سلام بن عمرو اللواتي النفوسي(ت273هـ/ 886م) أول مؤرخ إباضي المذهب، مغاربي الموطن، يؤلف في التاريخ، والسير، فقد تناول في مؤلفه مواضيع عدة، منها فضائل الصحابة، وجوانب عقدية، وثورات إباضية المشرق والمغرب باختصار، وسير فقهاء الإباضية، ثم ضمّن كتابه رسالتين هامتين أولاهما تعود للإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم إلى أهل طرابلس، والثانية من أبي عيسى إبراهيم بن إسماعيل الخراساني إلى أهل المغرب، دون الاعتماد على أي مصدر مدوّن من كتب التاريخ والتراجم، بل على مصادر أغلبها شفوية، عن طريق الرواة، أو مشاهداته شخصيا، وهذا ما يميز كتابه.

يعود فضل اكتشاف مخطوطته وتحقيقها إلى الشيخ سالم بن يعقوب وفرنار شفارتس، اللذَين قاما بعمل كبير بعد أن كان في عداد المفقودات، وفتحا الباب بذلك على الباحثين للإطلاع على محتوياته والاستفادة منه[6]، وإن كان هو بحاجة إلى مزيد البحث عن نسخه ومقارنتها ليكتمل العمل[7].

سلك ابن سلام في كتابه منهجا تجاوز فيه التقليد والإقتداء، منهج يختلف عما كانت عليه كتب عصره[8]، إذ أنه جمع بين الحديث والتفسير وتاريخ الإباضية وسيرة الخلفاء،

فلم يكن هناك ما يمكن تسميته بمنهج تاريخي واضح المعالم[9]، وإنما اعتمد السرد الموضوعي في موضوع العقائد بأسلوب "إذا قيل لك"، وفي تراجم الصحابة وأعلام المذهب الإباضي بأسلوب "ما جاء في الأثر"، كما يعتمد في الأخبار السياسية على الإسناد الجمعي بصيغة " أخبرني أصحاب ..." [10]والشواهد على ذلك كثيرة في كتابه.

كان لذكر التواريخ نصيب في كتاب لوّاب، وإن كان بعضها لا يمكن الوثوق به – على حد قول فرنار شفارتس– إذ يظهر فيها تناقض واضح، مثال ذلك ما ذكره في قصة ولاية أبي حاتم[11].

أما الأماكن فكانت حاضرة بدورها في فصول الكتاب، ويذكرها بأسمائها دون تفاصيل وافية عنها، ويبدو أنها كانت مواقع معلومة لدى العام والخاص في زمانه، إما حواضر علمية أو محطات تجارية أو أماكن شهدت معارك طاحنة. وهي متنوعة منها التي كانت قد انتشر بها الإباضية، ومنها التي هي تحت حكم دول مخالفة.

استدل في رواياته بالقرآن الكريم أحيانا بآيات كاملة، وفي أخرى بآيات ناقصة، إلى جانب السنة النبوية في أكثر من موضع، وهذا منهج الفقيه، الذي لا يمكنه الاستغناء عن القرآن والسنة خاصة في المسائل والفتاوى والنوازل، كما نجده يهتم بذكر السند فكثيرا ما يروي ابن سلام رواياته مشافهة بإسنادها إلى من سبق مع توثيق ذلك [12]، وإن كان إسناده في الأحاديث التي ذكرها لا تزيد على اسمين إلا نادرا.

وبذا يمكن اعتبار ابن سلاّم رائد مدرسة التأريخ الإباضي ببلاد المغرب، والحلقة الأولى في سلسلة المؤرخين الذين سيأتون من بعده، وإن لم نعلم –إلى غاية كتابة هذه الأسطر– عن مؤرخ آخر معاصر له في نفس الفترة الزمنية أي القرن الثالث الهجري، التاسع للميلاد [13].

أهم ما يميّز فترة القرن الثالث الهجري/ التاسع للميلاد، هو المنهج الشفوي الذي اتبعه أخباريو الإباضية، إذ لم تكن وقتذاك مؤلفات متداولة يمكنهم الرجوع إليها واعتمادها كمصادر مكتوبة، سوى النزر القليل، إلى جانب منهج المحدثين في الرواية بطريقة الإسناد

وتسلسل الرواة إلى شهود عيان، وعدم التحكم في المنهج التاريخي وطغيان الجانب الإخباري على المادة التاريخية[14]، ضف إلى ذلك قيام دولتهم على أساس إيديولوجي مذهبي، مما يعني تمذهب مؤرخيها بمذهبها الرسمي[15]، الأمر الذي جعلهم يكتبون بطريقة عاطفية، وأحيانا ميثولوجية وبمرجعية محدودة، قاصرة على روايات الإباضية ليس إلا، مما عرّض تواليفهم للضياع والاندثار، من طرف خصومهم، إذ عُدّت من المفقودات والنادرة جدا في أحسن الأحوال.

3. قرون الاستمرار في الكتابة التاريخية الإباضية:

لم تظهر كتابات تاريخية ملحوظة فترة القرن الرابع الهجري/ العاشر للميلاد، ومردّ ذلك أسباب سياسية تمثلت في انهيار الدولة الرستمية سنة 296هـ/ 909م، وتبعات ذلك من ضياع أمهات المصادر الإباضية المغربية الدينية الفقهية منها، والعقدية والتاريخية، جراء حرق مكتبة المعصومة على يد أبي عبد الله الشيعي[16]، ومحاولة إعادة بعث وترتيب البيت الإباضي، ولمّ شمله من جديد في حاضرة العلم الثانية -بعد تيهرت- ورجلان، ومقتل عدد لا يستهان به من أئمة وشيوخ الإباضية في موقعة مانو 283هـ/896م، ثم معركة باغاي سنة 385هـ/ 968م[17].

يذكر سعد زغلول عبد الحميد مؤرخا إباضيا شارك في مسار الدراسات التاريخية في العصر الفاطمي، ويُدعى أيوب بن أبي يزيد مخلد بن كيداد وقد كان أحد إخباريي إفريقية، إلا أننا لم نقف على إسهاماته التاريخية، سوى ما ذكره عن نقل ابن خلدون في عبره، فقرات من أخبار أيوب ورواياته[18]. أما في قائمة تاديوس ليفيتسكي والتي خلص إليها في بحوثه، لم أجد فيها الكثير من رواة القرن الرابع الهجري، عاشوا في النصف الأول منه أو في نصفه الثاني، والذين لا يملك عنهم تفاصيل حياتهم، سوى القليل، وتبقى عبارة عن تكهنات وافتراضات بحاجة إلى مزيد التحقيق والتقصي، منهم: أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد من وادي ريغ، وأبو مُحَمَّد ويسلان بن أبي بكر من جربة، وأبو نوح سعيد بن يخلف المزاتي من الزاب، أبو ولا وانودين، أبو يعقوب بن أبي إسحاق من ورجلان، علي بن أبي يحيى، حسن بن ورمجوج من قنطرارة[19].



وقد وصلت الكتابة التاريخية بالمغرب عموما في هذا القرن، مرحلة النضج والإدراك التاريخي، وكان ثراء هذه الكتابة وازدهارها بثراء الفرق والمذاهب المنتشرة هناك، وما تبع ذلك من خصائص وميزات الكتابة عند كل طائفة، أما عن خصائص الكتابة الإباضية فقد شهدت تطورا هاما، تجلى في المنهج التاريخي الذي بدأ يأخذ شكلا واضحا تحددت معالمه الأساسية، حيث انتشر التدوين بصفة عامة، وتحرر المؤرخون، فبعد أن كان مجرد ناقل للرواية التاريخية، ولعب دور الأخباري الذي ينقل المعلومة التاريخية مع ذكر سلسلة الرواة الذين نقلوا الخبر، فأصبح البحث عن ذات الخبر دون التقيد بسلسلة الرواة.

1.3 . الورجلاني: من منهج العموم إلى منهج السِّير في القرن 5هـ / 11م:

إذا عرّجنا على القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر للميلاد، نجد أنه قد حدث للتاريخ المغاربي عموما والإباضي خصوصا نوع من اليقظة، إذ عاد المؤرخون يزاحم بعضهم بعضا، لا من حيث الكم فحسب؛ بل حتى من حيث الأسلوب والمنهج، فقد عرف الإباضية نوعا جديدا من أنواع الكتابة التاريخية، ألا وهو أسلوب السّير، والذي سيمتد إلى القرون اللاحقة، ويتطور إلى تراجم وطبقات ومناقب، واشتهر في هذه الفترة مؤرخون أو إخباريون بمؤلفاتهم التي وصلتنا، وهي متداولة لدى الباحثين القدامى والمعاصرين، نذكر من بينهم: الشيخ أبا الربيع سليمان بن يخلف المزاتي القابسي(ت حوالي471هـ/ 1078م)، والذي صنف في السير مؤلفا، عُرف بـ:"سير المزاتي"، إلى جانب ما له من مصنفات أخرى. كما ألّف واضع نظام العزابة الشيخ أبو عبد الله مُحَمَّد بن بكر بن أبي بكر الفرسطائي(ت440هـ/1049م) كتابا أسماه: الألواح. أما أشهر مؤرخي هذا القرن فهو الشيخ أبو زكرياء يحي بن أبي بكر الورجلاني اليهراسني(ت حوالي474هـ/ 1081م)، صاحب كتاب "السيرة وأخبار الأئمة" أو" أخبار أبي زكرياء" [20]، والذي سنخصه بشيء من الدراسة في هذه الورقة.

يحتوي كتاب أبي زكرياء الورجلاني في جزئه الأول على معلومات عن دخول الدعوة الإباضية بلاد المغرب وتطورها، وتأسيس دولة أبي الخطاب المعافري بطرابلس، وتاريخ دولة بني

رستم في نشأتها وتطورها إلى غاية سقوطها، كما يشمل الكتاب الإفتراقات الخمسة للإباضية خلال ثلاثة قرون مع ذكر أسبابها، وحركة الإباضية ضد الدولة الفاطمية، وانتهى هذا الجزء بالحركة الدينية التي تزعمها أبو عبد الله مُحَمَّد بن بكر بن أبي بكر الفرسطائي، وأخبار عن الشيخ أبي الربيع سليمان المزاتي. أما الجزء الثاني فقد خصصه لتراجم أشهر شيوخ المذهب من الطبقتين السابعة والعاشرة خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين.

اعتمد الورجلاني في كتابه على مصادر شفوية وأخرى مكتوبة، وقد ساعدته تنقلاته بين مواطن الإباضية في تنوع مصادره، وهو يشير إلى الشفوية منها بقوله:" قد قصدنا في هذا الكتاب إلى إيضاح ما انتهى إلينا من سير أوائلنا وأسلافنا، من أدركنا منهم، وما بلغنا عمّن لم ندركه"[21]، وهي تغطي جزءا ليس باليسير من كتابه، وأهم مصادره شيخه أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي، حتى يكاد يكون كتاب السيرة كتاب أبي الربيع[22]، وجاءت رواياته بصيغ متعددة في مختلف صفحات الكتاب، من مثل: "حدّث أبو الربيع، وحكى أبو الربيع، وذكر شيخنا، وأخبرنا أبو الربيع..."، إلى جانب مشايخ آخرين قد استقى منهم الورجلاني مادة أخباره الشفوية.

أما مصادره المكتوبة فقد ذكرها بعناوينها وعناوين مؤلفيها في الغالب، ماعدا بعضا منها أشار إلى عنوان الكتاب دون مؤلفه، منها: كتاب أعلام النبيء لابن قتيبة، والوعظ والزهد لأبي عمرو الجاحظ، وغيرها[23].

قام كل من الباحثين إسماعيل العربي من الجزائر بتحقيق الجزء الأول من الكتاب بعنوان: "كتاب سير الأئمة وأخبارهم" سنة 1982م، وعبد الرحمن أيوب من تونس أيضا، الذي حقق الكتاب بجزأيه الأول والثاني، تحت عنوان:"كتاب السيرة وأخبار الأئمة" سنة 1985م، وقد سبقهما في الوصول إلى مخطوطة الكتاب، المستشرق الفرنسي اميل ماسكراي الذي ترجم نص الورجلاني إلى اللغة الفرنسية سنة 1878م. معتمدا مخطوطة واحدة في حين أن عدد نسخ مخطوط سير أبي زكرياء حوالي ثلاثة عشر نسخة[24].

اتبع أبو زكرياء المنهج التاريخي والمنهج الوصفي، الذي اتسم بالدقة والموضوعية، عند ذكر الحوادث التاريخية، لذا جاءت أخباره متسلسلة ومتناسقة، بعبارات واضحة وبسيطة، وأسلوب متماسك ولغة واضحة ومرنة، يفهم القارئ مضمونها[25]، وكتابه من نوع الكتابة المنقبية وهو مرتب على طريقة الحوليات.

اهتم الورجلاني بالإسناد، إذ أحال الروايات إلى مصادرها المتعددة، وسجّل الأقوال بنصها، سواء أكانت من كتاب أو رواية، أو مشاهدة أو مشافهة، مستعملا أحيانا إسنادا متصلا (إسناد كامل)، وأحيانا أخرى مقطوعا (إسناد مختصر)، وفي بعض الحالات يعتمد الإسناد إلى مجهول.

لم يول صاحب السيرة العناية اللازمة بالتأريخ للأحداث، وهي سمة غالبة على مؤلفات عصره في بلاد المغرب عموما، في حين كان قد اعتنى بذكر أسماء المدن والقرى، كيف لا وقد كان يجوب بواديها، وجبالها وصحاريها، إما طلبا للعلم أو للتدريس في حلقها، لذا يمكن اعتباره من الرحالة الجغرافيين، نظرا للعدد الهائل من المواطن التي زارها وذكرها في كتابه.

كان للآيات القرآنية والأحاديث النبوية مكان في مؤلفه، وإن لم يكن بالعدد المعتبر، فهو فقيه ومؤرخ، ونزعته الدينية الروحية تحتّم عليه الاستشهاد بهما، وذاك من خصال المشايخ والعلماء[26].

إن كتاب سير أبي زكرياء لَمِن الأهمية بمكان، نظرا للمحتوى التاريخي الذي بين دفتيه، وهو مصدر هام من مصادر التاريخ لمن يكتب عن الإباضية في المجال السياسي والاجتماعي، إلى جانب التراجم التي تناولها.

ما يمكن استنتاجه من مميزات التدوين التاريخي الإباضي في القرن الخامس الهجري، هو ظهور الكتابة السيرية إلى الوجود، مثّل المزاتي فاتحتها الكتابية وقام الورجلاني بتأصيلها، وجاء من بعدهما للتوسع فيها وتطويرها، وازدادت عدد المصادر الإخبارية الإباضية مع الأخطار التي كانت تحدق بهم، وتهدد وجودهم في كثير من الأحيان، وهنا نشير إلى الزحف الهلالي من مصر بداية من سنة 442هـ/1050م، والذي تسبب في تحول جنوب إفريقية من

أغلبية إباضية إلى مجال مالكي، واستمرت العملية إلى حدود القرن السابع الهجري[27]، لكن بفضل نظام العزابة (409هـ) الذي استحدثه الشيخ أبي عبد الله مُحَّد بن بكر الفرسطائي، أمكن الحفاظ على الدين من الاندثار وتحصين المذهب من الانهيار، لذلك فَهِم مؤرخو الإباضية حقيقة التاريخ ودوره الحضاري، عن طريق التأليف في السير بعد أن طغى التاريخ الحدثي على سابقاتها، إذ صار هذا النوع ناطقا بمشاغل الجماعات الإباضية، وديوانا لها ولتاريخها، فغدت بذلك موسوعة ثقافية عامة، وعالمة في نفس الوقت.

2.3 . البغطوري: التأسيس والثبات على المنهج في القرن 6هـ / 12م:

بعد تناولنا لأنموذج ابن سلاّم التوزري من بلاد الجريد(تونس)، والذي يمثل مثالا لمؤرخ إباضي في القرن الثالث الهجري، وعرّجنا على القرن الخامس الهجري من خلال نموذج أبي زكرياء الورجلاني (الجزائر)، لا بأس أن نحوّل الوجهة إلى موطن آخر من مواطن الإباضية وهو جبل نفوسة (ليبيا)، لنتحدث فيها عن مؤرخ يكون مثالا لمن اهتم بالتاريخ في القرن السادس الهجري/الثاني عشر للميلاد، وسيكون البغطوري محل بحثنا.

عرف القرن السادس الهجري زخما في التأليف السيري، والإنتاج التاريخي الإباضي، بدأ مع "سير الوسياني"، لصاحبه أبو الربيع سليمان بن عبد السلام بن حسان الوسياني، واستمر مع "سير أبي عمار" المشهور بأبي عمار عبد الكافي التناوتي الورجلاني، وتوّج بـ: "سيرة مشايخ نفوسة"أو"روايات الأشياخ" للبغطوري[28]، وبين هذا وذاك، كتب الفقيه أبو سهل يحيى بن إبراهيم الورجلاني (ت ق6هـ/ 12م) كتابا في السير يُعرف بـ: "العقيدة في علم التوحيد والعلم والسير"[29]، كما كان للشيخ أبي يعقوب يوسف السدراتي الورجلاني (ت570هـ/1174م)كتاب بعنوان: "التاريخ الكبير لورجلان وسدراتة ووادي ريغ"، وكتاب "فتوح المغرب" وهي من المفقودات.

بالعودة إلى جبل نفوسة نقف أمام الشيخ مقرين بن مُحَّد البغطوري اليفرني النفوسي(ت حوالي 599هـ/1202م) شيخ مؤرخي الجبل، وصاحب كتاب "روايات

الأشياخ" أو "سير مشايخ نفوسة"، وهو الوحيد الذي رأى النور حديثا، من بين مؤلفات البغطوري الأخرى المفقودة، والذي يحتوي على قائمة لأهم شيوخ أهل المشرق من الرعيل الأول، كما اهتم بسلسلة شيوخ الإباضية، وهو ما يُعرف بـ: نسبة الدين، ونجد في صفحاته عددًا لا بأس به من المسائل الفقهية.

أما عن نسخ الكتاب فقد اعتمد المحقق عمر سليمان بوعصبانة على ثلاث منها [30]، في حين أن العدد أكبر من ذلك إذا أضفنا المفقود منها سيصل العدد إلى سبع، وقد تكون هناك نسخ أخرى غير معروفة[31].

تصدى لتحقيق الكتاب كل من توفيق عياد الشقروني تحت عنوان: "سير مشايخ نفوسة"، كما قام الباحث عمر لقمان بوعصبانة بتحقيقه تحقيقا علميا أكاديميا بعنوان "روايات الأشياخ"، ويقوم الباحث الليبي محمود كوردي بتحقيقه أيضا.

اعتمد البغطوري في سيره على المصادر الشفوية بالدرجة الأولى، وقد كان ذا ذاكرة قوية، مكنته من حفظ السير والتراجم[32]، واعتمد في مروياته على شيخه أبو مُحَّد عبد الله بن مُحَّد بن عبد الله بن مصكود الجدولي، أما مصادره المكتوبة فلم نجد في ثنايا سيرته ما يشير إلى أنه استخدم كتبا، سوى : كتاب"الدفتري"، وكتاب"الخليل الصالح" و"كتاب عبد الخالق الفزاني" و"كتاب العمروسي"[33].

لم يفصح البغطوري عن منهجه في تصديره لكتابه، لكن بقراءة متأنية لصفحاته، نستنتج أنه على شكل السير المطوّلة، وغلب عليه الطابع المنقبي، مع ذكر علماء الجبل قرية تلو أخرى، بطريقة متداخلة، لم يسلك فيها ترتيبا زمنيا أو طبقيا معينا، واتخذ المنهج التاريخي والمنهج الوصفي عند ذكره للحوادث، أو ما روي عن المشايخ.

فيما يخص الإسناد، فقد أسند جلّ رواياته إلى أصحابها، والتزم بذلك في عموم صفحات كتابه، واستعمل لذلك صيغا منها: وقيل، وروي، وذكر...، والتزم الدقة والموضوعية إلى حد كبير.

ASJP Algerian Scientific Journal Platform
مجلة المعارف للبحوث و الدراسات التاريخية
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/111
ISSN: 2437-0584/ EISSN: 2437-0584
جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي

رغم أن البغطوري قد ذكر عديد الأحداث، والأخبار والروايات عن المشايخ وأحوالهم ومناقبهم، وأورد سيرهم، إلاّ أنه لم يكن يهتم كثيرا بالتأريخ لها، فقد خطّها مجردة دون تواريخ معلومة، وهذا ملاحظ في سائر سيرته، أما الأماكن فقد استفاض في ذكرها، مثل سابقيه، إذ كانت عامرة بالإباضية منها حواضر العلم الكبرى التي يشد إليها الرحال لطلب العلم، ومنها القرى الصغيرة التي تمثل محطات علمية وتجارية في آن واحد.

لم يستشهد البغطوري كثيرا بالقرآن الكريم، رغم أنه أتى على ذكر الكثير من الفتاوى والمسائل الفقهية، التي هي بحاجة إلى دليل من القرآن والسنة، لكن بما أن أغلب صفحاته تتحدث عن أخبار لعلماء ومشايخ فلا مجال لذلك، سوى ما عُرف عن أحدهم بما يميّزه من ذلك[34].

لم ترد أحاديث نبوية في سيرة البغطوري، رغم أنه تناول مسائل فقهية عديدة ومتنوعة، في مختلف المسائل إلى جانب فتاوى كان قد أصدر حكمه فيها، أو أنه ذكر ما أُفتي فيها من قِبل مشايخ نفوسة، هذه الفتاوى كانت كثيرة وفي جوانب مختلفة، والتي من المفترض أن يستشهد فيها بالسنة النبوية.

يمكن إجمالا القول بأن القرن السادس الهجري هو العصر الذهبي للتدوين التاريخي الإباضي، والتدوين في فنون العلم عامة، بما امتاز به من كثرة المصنفين والمصنَّفات في جنوب إفريقية وجبل نفوسة، والجنوب الشرقي للمغرب الأوسط، كما أسهمت الرحلات العلمية وزيارات المشايخ لإخوانهم، وانتشار حِلق العلم بالذات في نقل المؤلفات وتنقل الطلبة والمشايخ، مما عمل على تنشيط الحركة العلمية، كما ساهمت التجارة بقسط كبير في نقل العلم من حاضرة لأخرى، عن طريق تبادل الرسائل والجوابات والكتب، والشواهد على ذلك كثيرة.

4.3 . الدرجيني: الأصالة مع التجديد في المنهج في القرن 7هـ / 13م:

يُعتبر القرن السابع الهجري/الثالث عشر للميلاد، في مسيرة الكتابة التاريخية الإباضية، فترة تتمة للقرن الذي سبقه، إذ لم يختلف كُتّابه عن سابقيهم، ولم يشذّوا عن القاعدة الأساسية في كتابة السير، إلا أننا نلحظ تغيرا في المنهج، تزعمه شيخ مؤرخي إباضية

بلاد الجريد، أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني (ت670هـ/1271م)، صاحب كتاب"طبقات المشائخ بالمغرب".

احتوت طبقاته على جزأين، أوّلهما: إعادة نقل ما جاء في الجزء الأول من كتاب أبي زكرياء يحي الورجلاني، وهو بمثابة مصدر مروياته الأول، وقد صرح بنفسه بذلك[35]، ففيه مجوعة من الأخبار التاريخية المتعلقة بوصول المذهب الإباضي إلى المغرب وتأسيس الإمامة الإباضية، والدولة الرستمية وأئمتها، وسير لبعض العلماء. أما الجزء الثاني: فهو جهد الدرجيني في التأليف، وهو عبارة عن مجموعة سيرية لمشايخ الإباضية المشهورين في المشرق والمغرب.

الجديد في منهج الدرجيني هو تقسيمه لسيره على شكل طبقات، تمتد كل منها فترة نصف قرن، إذ خصص الطبقات الأربع الأولى لعلماء المشرق من الإباضية، في حين خصص للعلماء المغاربة الطبقات الثماني المتبقية.

تنوعت مصادر الدرجيني ما بين الشفوية والمكتوبة في جزء كتابه الثاني، فالمكتوبة منها ما هو إباضي من سير الأوائل، وقد اعتمد بصفة أخص على كتاب أبي زكرياء الورجلاني وكتاب الوسياني[36]،كما اعتمد على مصادر أخرى تعود لمؤرخين وكُتّاب من مذاهب شتى، نذكر من بينها: سير أبو سفيان محبوب بن الرحيل(ت175هـ/ 791م)، وأبو العباس المبرد (ت285هـ/899م)، وأبو طالب المكي(ت386هـ/ 996م)، وأبو حيان التوحيدي(ت414هـ/ 1023م)، وسير الوسياني(ت557هـ/1161م[37]، أما مروياته الشفوية فعديدة، وأغلبها يعود إلى فترة القرنين الخامس والسادس الهجريين.

إن نسخ مخطوطة الدرجيني كثيرة، وأغلبها موجودة في مكتبات وادي مزاب–على حد علمي– وقد اعتمد الشيخ إبراهيم طلاي صاحب تحقيق كتاب طبقات الدرجيني على ثلاث نسخ فقط ولم يطلع على البقية، أو أنه اعتمد الأصح منها، وفي قائمة مسح لنسخ المخطوط أحصيتُ 12 نسخة في مكتبات وادي مزاب لوحدها، وأكيد أن منها أخر، في مكتبات نفوسة وجربة وورجلان، وحتى خارج الوطن.

أما عن منهجه، فلم يختلف عن منهج أبي زكرياء في جزئه الأول أي المنهج التاريخي والمنهج الوصفي، بأسلوب جاءت فيه أخباره متسلسلة، بعبارات واضحة وبسيطة، وأسلوب متماسك ولغة واضحة، يفهم القارئ مضمونها. وهذا الجزء من نوع الكتابة المنقبية وهو مرتب على طريقة الحوليات. أما الجزء الثاني فقد نهج فيه منهج أبي عمار عبد الكافي التناوتي الورجلاني(ت ق6هـ/ 12م)، وهو منهج الطبقات المشار إليه سالفا، مع عملية انتقاء للعلماء المترجم لهم، أي ذكر جزء من الكل، وهم المشهورون في زمانهم، خلال ستة قرون، تلبية لرغبة إخوانه من إباضية المشرق، بعد أن صرفوا نظرهم عن كتاب أبي زكرياء لعيوبه اللغوية.

ومعيار ترتيب تراجمه في طبقاته لم يكن حسب تاريخ ولادة أو وفاة، ولا حسب حروف المعجم كما جرت العادة في كتب التراجم، إنما استحدث لنفسه منهجا خاصا يقوم على تصنيف تراجمه حسب الشهرة والمكانة، والمنزلة السياسية والاجتماعية والأسبقية في العلم والفضائل[38].

لم يُبد الدرجيني اهتماما كبيرا بالتأريخ، على اعتبار أن مؤلفه يصنف ضمن المناقب التي تهتم بالمآثر والفضائل أكثر من اهتمامها بالتواريخ، ماعدا بعض الحوادث الهامة التي كان دقيقا في تزمينها مثل: حركة الوجود الإباضي ببلاد المغرب، إلى نهاية العصر الرستمي. وقد سار أبو العباس على نفس منوال سابقيه من ذكر الأماكن والتعريف ببعضها.

لم يفُت الشيخ الفقيه الاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، مما يعكس ثقافته الدينية، كيف لا وهو خريج مدرسة وارجلان، التي درس على يد فطاحل العلم بها، وأشهرهم: أبو سهل يحي بن إبراهيم الورجلاني.

يمكن اعتبار طبقات الدرجيني، حلقة وصل بين القرون السابقة والقرون اللاحقة، فقد استمسك بالأصل وهو منهج السير الأولى، سير المشايخ الأوائل، وقام بتجديد منهجه في الكتابة، محاولة منه في تجميع أكبر عدد من التراجم في مؤلفه، وقد استحسن منهج أبي عمار الذي سبقه إليه، وأضاف إليه تراجم عديدة.

5.3 . البرّادي و العودة إلى الجذور في القرن 9هـ/ 15م:

في أقصى جنوب شرق إفريقية أو المغرب الأدنى، وفي جزيرة جربة بالذات، نحط الرحال عند مؤرخ إباضي عاش بها فترة ليست باليسيرة من حياته، إذ درس بها، ثم عاد إليها شيخا لعزابتها، في القرن التاسع الهجري، وهو الشيخ أبو الفضل أبو القاسم بن إبراهيم البرّادي، الدّمّري مولدا، والجربي موطنا(ت810هـ/ 1407م)، صاحب كتاب "الجواهر المنتقاة فيما أخل به كتاب الطبقات"، وله مؤلفات أخرى[39]. يحمل كتابه التاريخي بين دفتيه تعريفا بموقف الإباضية من الفتنة الكبرى، فوّثق نصوصا من الأهمية بمكان، أهملتها المراجع التاريخية الأخرى[40]، إلى جانب صفة الرسول ﷺ وشيئا من أخباره وأخبار الخلفاء، ضف إلى ذلك أسماء شيوخ الطبقة الأولى التي غفل عنها الدرجيني، وجوابات الأئمة عبد الله بن إباض ومحمّد بن أفلح، وخاتمة في ذكر الموت. هذا الكتاب الذي هذّب وأكمل به كتاب الدرجيني[41].

يقول البرّادي عن مصادره:" فجمعتُ في ذلك من آثار أصحابنا وغيرهم" [42]، وهي إشارة واضحة منه بأن مصادره المكتوبة متنوعة، إباضية وغير إباضية، وأهمها: كتاب "أخبار الأئمة الرستميين" لابن الصغير[43]، وكتاب عبد الله بن يزيد الفزاري بعنوان: "كتاب النهروان"، وكتبا أخرى. أما مصادره الشفوية فهي غائبة تقريبا، وكأنه لا يثق في مرويات البشر التي عادة ما يشوبها النقص والخلل، حتى أن طبيعة محتوى كتابه، والتي تعود إلى صدر الإسلام، بحاجة إلى مدونات مكتوبة أكثر منها شفوية.

توجد نسخ مخطوطة من كتاب البرادي في كل من بغداد، وتونس والقاهرة، ونفوسة وجربة[44]. وقد تكون موجودة في مناطق أخرى، كمكتبات مزاب والجريد، لكن الكتاب لم يعرف بعد التحقيق العلمي الأكاديمي، وإنما هناك دراسات مطبوعة، لا ترقى إلى البحث المتخصص في تحقيق المخطوط، مثل ما قام به أحمد بن سعود السيابي، حيث قام بتصحيحه والتقديم له.

أما عن منهج البرّادي وأسلوبه في جواهره، فهو بمثابة عود على بدء، إذ نهج المنهج التاريخي الحدثي، أي رواية الأخبار، وهو منهج الأوّلين، والتاريخ الحولي في بداية مصنفه،

واستخدم لفظة "كتاب" للإشارة إلى سيرة من السير، وجمع بين فنّ السيرة وفنون المناقب والتراجم والوفيات مستفيدا منها جميعا دون التقيد بضوابطها الشكلية[45]، كأنه أراد بذلك الجمع بين مختلف المناهج القديمة والحديثة، حتى يضفي على مؤلفه نوعا من التجديد، كما فعل سابقه الدرجيني.

لا نجد في مصنفه ذكرا مستفيضا للآيات القرآنية والأحاديث النبوية إلا ما ذكره في صدر الكتاب في فضل طلب العلم، رغم أن جانبا كبيرا من الكتاب يتحدث عن فترة النبوة، ضف إلى ذلك أنه جمع بين علوم الفقه والتاريخ، وفنون أخرى على عادة الشيوخ، قبله وبعده.

لا نلمس اهتماما بالتواريخ في كتابه، ماعدا السنوات الأولى التي ذكرها في عهد الهجرة النبوية والصحابة الأوائل. فالأحداث الكثيرة التي نقلها من مصادره بحاجة إلى ضبط تواريخها، حتى تكتمل الصورة، وهذا ما لم يقم به البرادي، وكأنها أحداث معلوم تاريخها في زمانه لدى الخاص قبل العام.

آثر البرادي العودة إلى المنهج الكلاسيكي في التاريخ، وهو المنهج الحدثي والحولي، ثم السيري بعد ذلك، فجاء بتاريخ صدر الإسلام، والرسالة النبوية، واستفاض في أخبار بيت النبوة، رغم أنه ذكر أبا عمار عبد الكافي التناوتي الورجلاني، وأبا العباس أحمد الدرجيني، إلا أنه لم يحذو حذوهما في منهج الطبقات. واعتبر عمله مكمّلا لما نقص في كتاب طبقات الدرجيني.

4. قرن نهاية منهج السير الإباضية:

بعد هذه السلسلة السيرية التي لم تنفصل حلقاتها من مؤرخ إلى آخر، ومن جيل إلى جيل، ومن بيئة إلى بيئة أخرى، حيث تواصلت رغم ما لحق بالإباضية من أذى وبطش من قبل الدول التي كانوا تحت حكمها من فاطميين وأغالبة وزيريين وصنهاجيين وحماديين وحفصيين فيما بعد، إلا أنهم استطاعوا أن يحافظوا على تاريخهم عبر السير الجامعة، التي لم تحو

فقط–كما يبدو من عنوانها– تراجم مشايخ وعلماء الإباضية فحسب؛ وإنما حوت فقها وعقيدة، ومسائل ونوازل وفتاوى تم تناقلها عبر القرون.

يأتي الشيخ أبو العباس أحمد الشماخي ليمثل خاتمة مدونات السير الإباضية، بعد مسيرة سبعة قرون من العطاء التاريخي، محاولا تأدية دوره في جمع كل ما سبقه من سير مشايخه، واضعا بذلك نهاية مخطوط أو موسوعة تاريخية مفتوحة؛ بدأه لواب بن سلام وأنهاه الشماخي، ومثّل صفحاته مؤرخون تداولوا على حفظ سير الأوائل ووضع بصمتهم. على منوال سلسلة نسب الدين، التي تصل حلقاتها إلى الرسول ﷺ، فبذلك هي بمثابة سلسلة سير الأولين التي وجب على من بعدهم تتمة حلقاتها.

1.4 . الشماخي: جامع سير من قبله في القرن 10هـ/ 16م:

من جربة إلى نفوسة مرة أخرى، فبين أحضان الجبل ترعرع ثلة من الطلبة، على يد مشايخ أجلاء، وصار الجبل منبعا للمؤرخين والفقهاء والأصوليين، فترة التاريخ الوسيط، منهم من استقر بها مدرّسا ومؤلفا إلى آخر يوم في حياته، ومنهم من فضّل الرحلة بين ربوع الإباضية، تلميذا، فشيخا وراوية للسير، ثم مؤلفا لها، منهم على الأقل مؤرخان وصلتنا كتبهما، أحدهما هو: أبو عبد الله مُحَمَّد بن زكرياء الباروني القلعاوي(ت997هـ/ 1588م) صاحب كتاب طبقات علماء الإباضية، والثاني الذي سنخصصه بجانب من البحث هو: الشيخ أبو العباس بدر الدين أحمد بن سعيد بن عبد الواحد الشماخي اليفرني(ت928هـ/ 1522م) سليل أسرة علم، أبا عن جد، وأحد المؤلفين في الكثير من الفنون[46]، وتفاصيل حياته أكثر من أن نذكرها في هذه الأسطر القليلة، مثله مثل سابقيه، وما يهمّنا في بحثنا هو كتابه: "السير" ومنهجه وأسلوبه.

يتناول الشماخي في كتابه الذي يكون قد كتبه أواخر ق9هـ/ 15م، وأوائل القرن 10هـ/ 16م[47]، بداية تاريخ الإباضية في المشرق، ومشايخ الإباضية في المغرب وفيه: تاريخ نشر المذهب الإباضي في المغرب والأئمة الأوائل، وتاريخ الرستميين يتخلله ذكر سير بعض مشايخ الإباضية بالمغرب، ثم سير مشايخ المغرب من القرن الثاني الهجري/ الثامن للميلاد

وحتى التاسع الهجري/ الخامس عشر للميلاد، مع ذكر لبعض الكرامات، أما ذيل الكتاب ففيه ثلاث وثائق ليست من تأليفه وهي: نسبة الدين، وذكر أسماء بعض شيوخ الوهبية، وأخيرا ذكر رسالة في تسمية مشاهد الجبل[48].

يبدو أن الشماخي كان على اطلاع واسع لعدد كبير من المصنفات الإباضية منها وغير الإباضية، وكل ذلك من أجل توثيق معلوماته، متجنبا بذلك النقص الذي طال بعض المؤرخين من قبله، فقد وردت في ثنايا كتابه مستدلا بها أحيانا وناقلا عنها أحيانا أخرى، أما الشفوية فقد كانت أساس المادة التاريخية لكتابه، خاصة منها التراجم المذكورة، مسندة إلى سلسلة الرواة الإباضيين من مشايخ أسرته، وأهل بلده يفرن بنفوسة.

فيما يخص نسخ كتاب السير، فقد اعتمد محققه، الباحث مُحَّد حسن، على خمس نسخ، وطبعة حجرية واحدة، جمعها من مختلف المصادر من تونس وجربة، وبولونيا والقاهرة واتضح له بأن أقدمها بعد المقارنة هي نسخة المكتبة الوطنية بتونس وتعود لسنة 1062هـ/ 1651م[49]، وتوجد نسخ من المخطوط بمكتبات مزاب.

يذكر المؤرخ ناصر الدين سعيدوني أن الراجح في منهج الشماخي، قد اقتدى بالوسياني من قبله[50]، فرتّب مادته التاريخية ترتيبا علميا جغرافيا بمنهج مكاني شبيه بمنهج كتاب الألواح للفرسطائي، إضافة إلى استخدامه منهج الأخبار والأحداث، منهج الأوائل. وكان أسلوبه بعيدا عن الصور الأدبية والبلاغية والمحسنات اللغوية، من أجل الاقتراب أكثر من الحقيقة التاريخية.

من مظاهر الاهتمام بفن التراجم والسير بالمغرب الإسلامي في القرنين التاسع والعاشر الهجري، الاشتغال بكتب التراجم السابقة اختصارا وتذييلا وتكملة[51]، فقد اعتمد أبو العباس التقويم الهجري الذي قسم به طبقاته أسوة بأبي عمار عبد الكافي والدرجيني، وإن كان هناك بعض الاختلاف بينهم، إذ يضع كل إمام من أئمة الرستميين وفترة حكمه في طبقة[52]، فجاء ترتيب أعلامه ترتيبا كرونولوجيا بدءا من السنة الأولى للهجرة وإلى غاية الخمسين منها على امتداد خمس طبقات، مع ضبط دقيق للتواريخ، كان باليوم والشهر والسنة

لبعض الحوادث أحيانا[53]، كما اعتنى بتواريخ الوفاة أكثر من اعتنائه بتواريخ الميلاد على عادة مؤرخي عصره، ولم يكتف بذكر الأماكن والبلدان والمواطن التي تحرك فيها أعلامه، وإنما وصف بعضها بدقة.

بعمله هذا استطاع البدر الشماخي أن يجمع أخبار أبي زكرياء، وسير المزاتي، وسير الوسياني، وطبقات الدرجيني، وجواهر البرادي، فيؤلف كتابا جامعا شاملا، وأن يلفت إليه أنظار الباحثين، لغزارة معلوماته. وهو بمثابة خاتمة تآليف السير عند الاباضية. وإن لم يرق إلى طبقات الدرجيني أسلوبا ولا ترتيبا، فقد حاول جمع مناهج سابقيه، واجتهد في تجديد منهج خاص به.

وأكيد أن قائمة المؤرخين الإباضيين طويلة، فهناك من المشايخ من لم نذكره، سواء لعدم شهرته، أو لأن مؤلفاته مجهولة، أو أنه كتب في الفقه أكثر منه في السير، وعند ليفيتسكي قائمة منهم، ذكر بأنهم رواة، أو مهتمون بالسير، أو أخباريون، لكن المعلومات عنهم ضئيلة، حتى أنه ذكر عنهم نُبذا عن حياتهم ومؤلفاتهم التي ذكر بأن أغلبها مفقودة.

ومنذ القرن العاشر الهجري، لم تعرف المكتبة الإباضية التاريخية مؤلفات في السير، فبعد أربعة قرون، أي في القرن الرابع عشر جاء من المشايخ من يحمل مشعل السير مرة أخرى، محاولا بذلك ربط حلقات الماضي بالحاضر، حتى لا تنفصل حلقات السلسلة السيرية، والفضل في ذلك يعود للشيخ أبي اليقظان إبراهيم بن عيسى القراري الجزائري (ت1393هـ/1973م)، والذي بدأ من حيث انتهى الشيخ الشماخي، واصلا بذلك مسار المشايخ، لكن هذه المرة في كتاب أسماه: ملحق سير الشماخي. وهو مخطوط في ثلاثة أجزاء، ترجم فيه لعلماء ومشايخ الإباضية ببلاد المغرب الحديث والمعاصر، مدة خمسة قرون وزيادة، ابتداء مما انتهى إليه الشيخ أبو العباس الشماخي في سيره، وهو ملحق سيري محض، لا يحوي فتاوى وعقيدة ومسائل، كما كان الأسلاف من قبل[54].

5. خاتمة:

قطعت الكتابة التاريخية الإباضية ببلاد المغرب الوسيط أشواطا طويلة لتشكل ملامحها، حيث عرفت تطورات من حيث التصور والمنهج والأسلوب، وما النماذج التي سقناها من القرن3هـ إلى القرن 10هـ/9-16م إلا غيض من فيض المؤلفات التاريخية التي دُوّنت من قبل شيوخ الإباضية وأعلامها.

ميزة مؤرخي الإباضية أنك تجدهم يجمعون بين أصناف العلم وضروب الكمال وأشتات الفضائل، فلا يقدر على تحديد اختصاصه إلا من اطلع على مؤلفاته جميعا، واطلع على آراء معاصريه فيه وحكم عليه، على حد تعبير أبي الحسن الندوي. كما أنهم كانوا ذوو إرادة وتضحية عظيمين، فلم تمنعهم وعورة البحث ولا المصاعب والعقبات التي تعترض سبيلهم، عن مواصلة العمل، رغم المحن والأهوال السياسية والظروف التي عاشوها، من قبل الدول الحاكمة وقتذاك، ولم توقفهم ندرة المصادر بأنواعها عن البحث عنها من مضانها وتجشموا لذلك الفيافي والجبال.

حوت كتب السير بين دفتيها ضروبا شتى من فنون العلم، ففيها العقيدة والتوحيد، والكلام والأصول والميراث والفتاوى والمسائل والنوازل والجغرافيا والتاريخ، والحكم والأمثال، إلى جانب التراجم والمناقب. فبذلك هي مدونات موسوعية، يعود إليها طالب العلم والشيخ على حد سواء، كما أنها امتازت ببساطة أسلوبها بلغة ميسرة للخاص والعام.

اهتم الإباضية بالكتابة السيرية أكثر من أنواع الكتابة التاريخية الأخرى لما في هذا الاتجاه من أهمية، فكتب السير هي بمثابة مصادر دفينة في التأريخ للجانب السياسي والاجتماعي، والاقتصادي والثقافي للشعوب، إلى جانب كتب النوازل والمناقب، والتراجم والرحلات...

تغيّر أسلوب ومنهج الكتابة التاريخية الإباضية في بلاد المغرب، تغيرا ملحوظا بعد الزحف الهلالي القادم من الشرق أواسط القرن الخامس الهجري الحادي عشر للميلاد، إذ قبل

ذلك ساد التدوين على المنهج الكلاسيكي القديم المتمثل في التاريخ الحدثي والتاريخ العام، أما بعد تلك الهجرة، فقد تغير نمط الكتابة إلى السير والتراجم والطبقات. وأضحت بذلك كتب الفقه و العقيدة والكلام والفتاوى والنوازل، تحمل طابعا سيريا، يستفيد منها طالب العلم ويوظفها في مختلف فنون العلم التي يطلبها فهي كتب جامعة، ولو أنها كانت كتب سير وتراجم فقط لاحتاج الطالب إلى كتب فقه وعقيدة، تشبع نهمه العلمي.كما أن الأمر يتعلق بكتمان حقيقة ما تحمل من كل ما له علاقة بالمذهب الإباضي عن طريق عنوان السير، وذلك لما أصاب كتب أهل الدعوة من حرق وتخريب من قبل مخالفيهم.

والبحث في الكتابة التاريخية الإباضية، في مختلف أطوارها ومناهجها وأساليبها ببلاد المغرب، موضوع جديد وجدير بالبحث، يمكن للدارسين والباحثين الأكاديميين العمل عليه، وإنجاز مذكرات ورسائل وأطروحات عنه، بحثا ودراسة، تحليلا ونقدا، لكل مؤرخ من مؤرخيه على حده، بدراسة متأنية ومستفيضة، انطلاقا من جوانب حياته، وانتهاء بمؤلفاته وأهميتها.

6. هوامش:

[1] – مقرين بن مُحَّد البغطوري ، روايات الأشياخ، تحقيق عمر سليمان بوعصبانة، ، أشياخ جبل نفوسة الشهير بسير البغطوري، تحقيق عمر سليمان بوعصبانة، مكتبة خزائن الآثار، ط1، بركاء، عمان،2017، ص232. أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني، طبقات المشايخ بالمغرب، تحقيق إبراهيم طلاي، 2007، ص 113.

[2] – ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، ، تحقيق وتعليق .إبراهيم بحاز ومُحَّد ناصر، المطبوعات الجميلة، ط1، الجزائر، (د.ط)، 1986، ص63. إبراهيم بحاز، الدولة الرستمية (160-296 هـ/909-777م) - دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية-، قسنطينة، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، (د.ط)، 2015

[3] - ابن الصغير، المصدر السابق، ص 39.

[4] – تاديوس ليفيتسكي، المؤرخون الإباضيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة ماهر جرار وريما جرار، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 2000، ص 63.



[5] - لواب بن سلام، الإسلام وتاريخه من وجهة نظر إباضية، تحقيق فرنار شفارتز وسالم بن يعقوب، دار إقرأ، ط1، بيروت، 1985، ص 16. تاديوس ليفيتسكي، تسمية شيوخ جبل نفوسة وقراهم، ترجمة عبد الله أزواو، تقديم موحمد ؤمادي، مؤسسة تاوالت الثقافية، (د.ط)، الولايات المتحدة الأمريكية، 2008، ص 34.

[6] - فرنز شفارتس، ابن سلاّم والتأريخ الإباضي قبل العصر الرستمي، الندوة الدولية الخامسة حول كتب السير الإباضية، تاريخ ابن سلام في ميزان القراءات النقدية، 01-03نوفمبر2018، جمعية جربة التواصل، جربة، تونس، ص7.

[7] - إبراهيم بحاز، المرجع السابق، ص 41.

[8] - زكية بالناصر القعود، كتاب بدء الإسلام وشرائع الدين لابن سلام الإباضي-دراسة تاريخية -، المجلة العلمية للدراسات التاريخية والحضارية ، ع3، جوان2019 ، ص 297. فرنار شفارتس، المرجع السابق، ص12.

[9] - آسيا ساحلي، إنتاج وانتقال المعارف التاريخية في المغرب الأوسط، ماجستير التاريخ، إشراف علاوة عمارة، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008، ص 21.

[10] - مُحَّد شكيران، نشأة التدوين التاريخي في المغرب الإسلامي، مجلة البعث، مج37، ع8، 2015، ص 25.

[11] - فرنار شفارتس، المرجع السابق، ص10.

[12] - عمر بوعصبانة، منتقيات من التراث-مقالات ومحاضرات-، مكتبة خزائن الآثار، ط1، بركاء، عُمان، 2016، ص 91. زكية القعود، المرجع السابق، ص17.

[13] - لواب ابن سلاّم، المصدر السابق، مقدمة المحقق، ص15. فرنار شفارتس، المرجع السابق، ص13.

[14] - آسيا ساحلي، المرجع السابق، ص 26-27.

[15] - محمود إسماعيل، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، دار سينا للنشر، ط1، القاهرة، 2000، 66/5.

[16] - مُحَّد زقاوي وعمر بلبشير، الحركة العلمية بورجلان من خلال نظام حلقة العزابة ما بين(القرن6-4هـ) علم الكلام نموذجا، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، مج8، ع1، جوان، 2017، ص 206.

[17] - فرحات الجعبيري و مسعود مزهودي، البعد الحضاري للعقيدة عند الإباضية، جمعية التراث، القرارة، غرداية، 1987، ص 58/1.





[18] – يوسف بن أحمد حوالة: الحياة العلمية في إفريقية"المغرب الأدنى"منذ إتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري .مكة :مركز البحوث والدراسات الإسلامية، 2000، ص 354.

[19] – تاديوس ليفيتسكي، المؤرخون، المرجع السابق، 2000، ص 60-147.

[20]- - Mitchel Love, J. P. Ibadi Prosopography in Medieval Northern Africa(11-16th). 2016, p. 43

[21] – أبو زكرياء يحيى بن أبي بكر الورجلاني،كتاب السيرة وأخبار الأئمة، تحقيق عبد الرحمن أيوب، الدار التونسية للنشر، ط1، تونس، 1981، ص 281.

[22] – الورجلاني، نفسه، ص 16.

[23] – صالح الزرويل، مؤرخو الإباضية ببلاد المغرب في القرنين 5-6ه/11-12م الورجلاني والبغطوري دراسة مقارنة، ماجستير التاريخ، جامعة غرداية، 2015، ص 99.

[24] – الورجلاني: المصدر السابق، ص14. صالح الزرويل، المرجع السابق، ص 77-78.

[25] – مُحَمَّد شكيران، المرجع السابق، ص 13.

[26] – صالح الزرويل، المرجع السابق، ص83-84.

[27] – علاوة عمارة، بين الاعتناق والقتل :حال ومآل الإباضيين المغاربة من خلال النصوص الفقهية المالكية، مجلة مدارات تاريخية ، مج2، ع6، جوان2020، ص 285.

[28] – مُحَمَّد فارس: الوعي بالمكان في السير الإباضية ببلاد المغرب-كتاب السير للوسياني نموذجا .-دكتوراه التاريخ الوسيط، جامعة تونس، تونس، 2017، ص 52.

[29] – علي عشي، دور مؤرخي المغرب الأوسط في انتقال المعرفة التاريخية خلال القرنين6و7ه، مجلة المقدمة للدراسات الإنسانية والاجتماعية ، 2019، ص 203.

[30] – البغطوري، المصدر السابق، ص 40-48.

[31] – صالح الزرويل، المرجع السابق، ص 126.

[32] – تاديوس ليفيتسكي، المؤرخون، المرجع السابق، ص 156.

[33] – صالح الزرويل، ، المرجع السابق، ص 145.

[34] – نفسه، ص 132.

[35] – الدرجيني، المصدر السابق، ص 197/1.

[36]– Moncef Gouja, Une géographie humaine des espaces Ibadites Maghrébins au 6èmes.h. paris: Editions Ibadica.2016, pp. 29-30.



37 – علي الريامي، الدرجيني ومنهجه في كتاب طبقات المشايخ بالمغرب، دكتوراه التاريخ، إشراف أحمد بني ياسين،كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، عمّان، 2013، ص 97-118.

38 – الريامي، نفسه، ص 140.

39 – مجموعة مؤلفين، معجم أعلام الإباضية من ق (1-15هـ) ، قسم المغرب، 4 أجزاء، المطبعة العربية، ط1، غرداية، 1999، 709/4-710.

40 – فرحات الجعبيري، دور المدرسة الإباضية في الفقه والحضارة الإسلامية، دار الجويني للنشر، تونس، 1988، ص 47.

41 – علاوة عمارة، الكتابة التاريخية في الغرب الإسلامي الوسيط، مجلة التاريخ العربي، ع32، 2004، ص 363.

42 – أبو القاسم بن إبراهيم البرادي، الجواهر المنتقاة فيما أخل به كتاب الطبقات، دراسة وتحقيق أحمد بن سعود السيابي، دار الحكمة، ط1، لندن، 2014، ص 11.

43 – تاديوس ليفيتسكي، المؤرخون، المرجع السابق، ص 148.

44 – حنيفي هلايلي، التراث الإباضي بالجزائر في أعمال المستعربين الأوربيين خلال الفترة الوسيطة، مجلة الحضارة الإسلامية، المجلد17، العدد28، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 2016، ص 541.

45 – مُحَّد فارس، المرجع السابق، ص 8.

46 – أبو العباس أحمد بن أبي عثمان سعيد الشماخي: كتاب السير، دراسة وتحقيق مُحَّد حسن، دار المدار الإسلامي، ط1، تونس، 2009، 15/1.

47 – Mitchel Love, ob cit, 2016, p 44.

48 – الشماخي، المصدر السابق، ص 17/1-18.

49 – الشماخي، نفسه، ص 84-88.

50 – ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي"تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين"، دار الغرب الإسلامي، (د.ط)، بيروت، 1999، ص 78.

51 – عبد القادر عياد، حركة التأليف في فن التراجم والسير بالمغرب الإسلامي في القرنين9 و10هـ، مجلة دراسات أدبية، ع22، 2017، ص 69.

52 – إبراهيم بحاز، المرجع السابق، ص 32.

[53] – حنان الطرابلسي، قراءة في مقومات الكتابة التاريخية عند الشماخي من خلال كتاب سير المشايخ، الندوة الدولية الثانية حول كتب السير الإباضية، كتاب سير المشايخ للشماخي، جربة 31/30أكتوبر-01نوفمبر2015، جمعية جربة التواصل، جربة، تونس، ص 7.

[54] - مجموعة مؤلفين، المرجع السابق، ص 56/2.

7. قائمة المراجع:

- المؤلفات:

- إبراهيم بحاز، الدولة الرستمية (160-296 هـ/777-909م)-دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية-، قسنطينة، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، (د.ط)، 2015.
- ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق وتعليق .إبراهيم بحاز ومُحَّد ناصر، المطبوعات الجميلة، ط1، الجزائر، (د.ط)، 1986.
- أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني، كتاب طبقات المشايخ بالمغرب، تحقيق إبراهيم طلاّي، (د. م. ن)، ط2، غرداية، 2007.
- أبو العباس أحمد بن أبي عثمان سعيد الشماخي: كتاب السير، دراسة وتحقيق مُحَّد حسن، دار المدار الإسلامي، ط1، تونس، 2009.
- أبو القاسم بن إبراهيم البرادي، الجواهر المنتقاة فيما أخل به كتاب الطبقات، دراسة وتحقيق احمد بن سعود السيابي، دار الحكمة، ط1، لندن، 2014.
- أبو زكرياء يحيى بن أبي بكر الورجلاني،كتاب السيرة وأخبار الأئمة، تحقيق عبد الرحمن أيوب، الدار التونسية للنشر، ط1، تونس، 1981.
- تاديوس ليفيتسكي، المؤرخون الإباضيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة ماهر جرار وريما جرار، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 2000.
- تاديوس ليفيتسكي، تسمية شيوخ جبل نفوسة وقراهم، ترجمة عبد الله أزواو، تقديم موحمد وُمادي، مؤسسة تاوالت الثقافية، (د.ط)، الولايات المتحدة الأمريكية، 2006.
- عمر سليمان بوعصبانة، منتقيات من التراث-مقالات ومحاضرات-، مكتبة خزائن الآثار، ط1، بركاء، عُمان، 2016.

- فرحات الجعبيري، دور المدرسة الإباضية في الفقه والحضارة الإسلامية، دار الجويني للنشر، تونس، 1988.
- فرحات الجعبيري و مسعود مزهودي، البعد الحضاري للعقيدة عند الإباضية، جمعية التراث، القرارة، غرداية، 1987.
- لواب ابن سلاّم، الإسلام وتاريخه من وجهة نظر إباضية، تحقيق فرنار شفارتز وسالم بن يعقوب، دار إقرأ، ط1، بيروت، 1985.
- مجموعة مؤلفين، معجم أعلام الإباضية من ق (1-15هـ) ، قسم المغرب، 4 أجزاء، المطبعة العربية، ط1، غرداية، 1999.
- محمود إسماعيل، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، دار سينا للنشر،ط1، القاهرة، 2000.
- مقرين بن مُحَمَّد البغطوري، روايات الأشياخ، أشياخ جبل نفوسة الشهير بسير البغطوري، تحقيق عمر سليمان بوعصبانة، مكتبة خزائن الآثار، ط1، بركاء، عمان،2017.
- ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي"تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين"، دار الغرب الإسلامي، (د.ط)، بيروت، 1999.

- الرسائل والأطروحات:

- آسيا ساحلي، إنتاج وانتقال المعارف التاريخية في المغرب الأوسط، ماجستير التاريخ، إشراف علاوة عمارة، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008.
- صالح الزرويل، مؤرخو الإباضية ببلاد المغرب في القرنين 5-6هـ/11-12م الورجلاني والبغطوري دراسة مقارنة، ماجستير التاريخ، جامعة غرداية، 2015.
- علي الريامي، الدرجيني ومنهجه في كتاب طبقات المشايخ بالمغرب، دكتوراه التاريخ، إشراف أحمد بني ياسين،كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، عمّان، 2013.
- مُحَمَّد فارس: الوعي بالمكان في السير الإباضية ببلاد المغرب-كتاب السير للوسياني نموذجا .- دكتوراه التاريخ الوسيط، جامعة تونس، تونس، 2017.

- المداخلات:

- حنان الطرابلسي، قراءة في مقومات الكتابة التاريخية عند الشماخي من خلال كتاب سير المشايخ، الندوة الدولية الثانية حول كتب السير الإباضية، كتاب سير المشايخ للشماخي، جربة 31/30أكتوبر-01نوفمبر2015، جمعية جربة التواصل، جربة، تونس.
- فرنر شفارتس، ابن سلاّم والتأريخ الإباضي قبل العصر الرستمي، الندوة الدولية الخامسة حول كتب السير الإباضية، تاريخ ابن سلام في ميزان القراءات النقدية، 01-03نوفمبر2018، جمعية جربة التواصل، جربة، تونس.

- المقالات:

- حنيفي هلايلي، التراث الإباضي بالجزائر في أعمال المستعربين الأوربيين خلال الفترة الوسيطة، مجلة الحضارة الإسلامية، المجلد17، العدد28، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 2016.
- زكية بالناصر القعود، كتاب بدء الإسلام وشرائع الدين لابن سلام الإباضي-دراسة تاريخية -، المجلة العلمية للدراسات التاريخية والحضارية ، ع3، جوان2019 ، الصفحات.302-293
- عبد القادر عياد، حركة التأليف في فن التراجم والسير بالمغرب الإسلامي في القرنين9 و10هـ، مجلة دراسات أدبية، ع22، 2017.
- علاوة عمارة، الكتابة التاريخية في الغرب الإسلامي الوسيط، مجلة التاريخ العربي، ع32، 2004.
- علاوة عمارة، بين الاعتناق والقتل :حال ومآل الإباضيين المغاربة من خلال النصوص الفقهية المالكية، مجلة مدارات تاريخية ، مج2، ع6، جوان2020.
- علي عشي، دور مؤرخي المغرب الأوسط في انتقال المعرفة التاريخية خلال القرنين6و7هـ، مجلة المقدمة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، 2019.
- محمّد زقاوي وعمر بلبشير، الحركة العلمية بورجلان من خلال نظام حلقة العزابة ما بين(القرن4-6هـ) علم الكلام نموذجا، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، مج8، ع1، جوان 2017
- محمّد شكيران، نشأة التدوين التاريخي في المغرب الإسلامي، مجلة البعث، مج37، ع8، 2015.
- يوسف بن أحمد حوالة: الحياة العلمية في إفريقية"المغرب الأدنى"منذ إتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، مكة، 2000.

- مؤلفات بالأجنبية:

-Moncef Gouja, Une géographie humaine des espaces Ibadites Maghrébins au 6èmes.h. paris: Editions Ibadica.2016.
- Mitchel Love, J. P. Ibadi Prosopography in Medieval Northern Africa(11-16th). 2016.